ملامح العمل المحاسبي والمالي في الحضارة الإسلامية

د. عزيز اسماعيل محمد

الجامعة العراقية

ملخص البحث

أن الحضارة الإسلامية قد سبقت الأوربيين في هذا العلم والفن (المحاسبة المالية) حيث كانت أوروبا ولغاية عام ١٨٢٨م تتعامل بعصي الحساب، وهي قطع من الخشب كانت تُعلّم بأثلام عليها، وقد استعملت هذه العصي في مجتمعات الفلاحين، وكانت تتعامل بها الدولة على أنها وثائق قانونية، حتى أن الخزانة البريطانية كانت تستعمل هذه العصي في طلباتها من الضرائب وكانت تعطيها للمواطنين كإيصالات استلام للضرائب.

فقد أسهمت الحضارة الإسلامية إسهاماً كبيراً في تطوير العمل المحاسبي المالي، ناهيك عن مختلف العلوم الأخرى، وفي بحثنا الموسوم **(ملامح العمل المحاسبي والمالي في الحضارة الاسلامية)**.والذي من خلاله سنحاول التعرف على تلك الإسهامات مثل: أدوات الكتابة عند المحاسب واستخدام الأرقام وأدوات المقاييس والمكاييل، وصفات المحاسب والمستندات والدفاتر والمصطلحات المستخدمة انذاك وما يقابلها اليوم في واقعنا المعاصر في العمل المالي

Research Summary

That the Islamic civilization had preceded the Europeans in this science and art (financial accounting), where Europe until 1828 dealing with sticks of arithmetic, pieces of wood was learned by the pens, and used these sticks in the peasant communities, and was treated by the State as legal documents, Even the British Treasury used these sticks in their tax applications and gave them to citizens as receipts for taxes.

Islamic civilization has contributed greatly to the development of financial accounting work, not to mention the various other sciences, and to our research (the features of accounting and financial work in Islamic civilization), through which we will try to identify these contributions such as: writing tools at the accountant and the use of numbers and tools, , The recipes of the accountant, the documents, the books and the terms used then and the corresponding ones today in our contemporary reality in financial work□

مقدمة:

إن محاولة إبراز ما قدمه المسلمون منذ مجيء الإسلام من دور فاعل في تنظيم العمل المحاسبي والمالي بصورة متواصلة ومتطورة مع الزمن في إدارة أموال الدولة الإسلامية والمحافظة عليها بصورة تفوق كل النظريات الحديثة لهو أمر جدير بالاهتمام، فقد أسهمت الحضارة الإسلامية إسهاماً كبيراً في تطوير العمل المحاسبي المالي، ناهيك عن مختلف العلوم الأخرى، وفي بحثنا الموسوم **(ملامح العمل المحاسبي والمالي في الحضارة الاسلامية)**.والذي من خلاله سنحاول التعرف على تلك الإسهامات مثل: أدوات الكتابة عند المحاسب واستخدام الأرقام وأدوات المقاييس والمكاييل، وصفات المحاسب والمستندات والدفاتر والمصطلحات المستخدمة انذاك وما يقابلها اليوم في واقعنا المعاصر في العمل المالي.فسنجد أن الحضارة الإسلامية قد سبقت الأوربيين في هذا العلم والفن (المحاسبة المالية) حيث كانت أوروبا ولغاية عام ١٨٢٨م تتعامل بعصي الحساب، وهي قطع من الخشب كانت تُعلّم بأثلام عليها، وقد استعملت هذه العصي في مجتمعات الفلاحين، وكانت تتعامل بها الدولة على أنها وثائق قانونية، حتى أن الخزانة البريطانية كانت تستعمل هذه العصي في طلباتها من الضرائب وكانت تعطيها للمواطنين كإيصالات استلام للضرائب[١].وتأتي **اهمية البحث** من خلال محاولة توضيح مكونات النظام المحاسبي المالي ابان الحضارة الاسلامية وتوضيح العناصر التي ساهمت في زيادة قوة ومتانة ذلك النظام في ذلك الوقت وكذلك اثبات الاصالة العلمية للنظام المحاسبي المالي عند المسلمين.اما **فرضية هذا البحث** فهي ان الاصول العلمية المتعارف عليها حاليا في واقعنا في مجال النظم المحاسبية كان معمولا بها عندما كان للمسلمين دولة وحضارة سادت العالم وكان هناك طرق منظمة للعمل المحاسبي والمالي ساهمت في تحقيق كفاءة ذلك النظام المالي ، فالشريعة الاسلامية قد احاطت بفن المحاسبة المالي وارست له فكراً خصباً طبقه الناس مثل كتابة الاموال وعلم الكسب الحلال الذي اشار اليه القران الكريم فلا يمكن لحضارة تركت بصماتها على العالم لقرون عديدة ان تغفل عن وضع او تطوير نظماً اقتصادية ومحاسبية لدولة.واما **هدف البحث** فهو يهدف الى ابراز ملامح النظام المحاسبي المالي عند العرب المسلمين واهتمامهم به حاله كحال بقية العلوم والمعارف التي برعو بها ورفدوا بها الانسانية.وسنقسم بحثنا الى اربعة مباحث وكالاتي: **المبحث الأول: مفهوم المحاسبة المالية ودلالاتها الاسلامية.المبحث الثاني: أدوات الكتابة المستخدمة عند المحاسب.المبحث الثالث: استخدام الأرقام وأدوات القياس والدفاتر والمستندات في الحساب.المبحث الرابع: صفات المحاسب في الإسلام.**

المبحث الأول
مفهوم المحاسبة المالية ودلالاتها الإسلامية

تمهيد:

إن (علم المحاسبة المالي) المستخدم في وقتنا الحاضر هو مصطلح مرادف لمصطلح (الحساب) أو (علم الحساب) الذي يستخدم في الفكر الإسلامي ومن خلال هذا المصطلح (الحساب) يمكن توضيح أهمية دراسة المحاسبة «والنظام المحاسبي المالي المعبر عن إجراءاتها المختلفة» من وجهة النظر الإسلامية من خلال قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[٢]، فالله تعالى في هذه الآية الكريمة يحثنا على الحساب، وتعتبر المحاسبة لغة التعامل في الشؤون الاقتصادية والمالية والاجتماعية بلغة الارقام..ويمكن تقسيم المبحث الاول الى:

اولاً: مفهوم المحاسبة في اللغة والاصطلاح

المحاسبة في اللغة: الحساب معروف وهو مصدر حاسبته محاسبةً وحساباً وحسِبَ وحسِبتُ الحساب احسِبهُ حسْباً وهو من حساب الشيء[٣]، ومعناه العد والاحصاء اي احصاه وبوبه وعدهُ.

واما في الاصطلاح: فيمكن تعريف مفهوم النظام المحاسبي المالي على انه يمثل: «مجموعة الإجراءات التي تتعلق بالعمل المحاسبي والخاصة بتسجيل الأحداث الاقتصادية وتبويبها وترحيلها وتلخيصها وعرضها وذلك من خلال توفير مجموعة مستندية يمكن الاعتماد عليها في تفريغ البيانات الناشئة عن الأحداث الاقتصادية»[٤]، ومن هذا التعريف يمكن تحديد اهم عناصر المحاسبة المالية وهي:

- وجود مجموعة من الاجراءات تتعلق بالعمل المحاسبي.
- ان مجال المحاسبة هو المعاملات المالية والاحداث الاقتصادية التي تتم بين اطراف عدة
- ان عمل المحاسبة بشكل عام يتمثل في امور منها إعداد الدفاتر والمستندات والبيانات او المعلومات والتأكد من صحتها وصدقها وذلك من خلال توافق البيانات المحاسبية مع الاحداث الاقتصادية التي وقعت.

واما **مفهوم النظام المحاسبي المالي في الاسلام** فإنه يتميز عن غيره من النظم المحاسبية الأخرى (الحديثة) من حيث مجموعة المبادئ والطرق والسياسات التي تحكم عمل النظام، حيث **يعرف النظام المحاسبي الإسلامي** بأنه: «العلم الذي يبحث في محاسبة الحقوق والالتزامات في ضوء الشريعة الإسلامية بما تحويه من قواعد في العبادات والمعاملات»[٥].وبذلك يتضح أن النظام المحاسبي المالي الإسلامي تحكمه مجموعة من القواعد الإسلامية فالعبادات مثل الصلاة والصيام والزكاة تحكمها

قواعد خاصة تمتاز بالثبات على مر العصور مستندة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. وأما المعاملات التي تشمل المعاملات التجارية والمالية والاقتصادية ومدى أخذها بأحكام الشريعة الإسلامية، تمتاز بالتغير والتطور باختلاف مراحل الحاجة إليها على مر العصور.

ومن خلال النظرة العامة للفكر الإسلامي وعلاقته بالمحاسبة بمفهومها الواسع، يتبين إلى أن علم المحاسبة المعاصر هو تطور مرحلي لعلم الحساب المعروف الذي يعبر عن علاقات رقمية من جانب واحد، بخلاف المحاسبة التي تعبر عن حركة بين طرفين أو جانبين يتم الحساب في كل منهما بالكتابة الدقيقة.وعلى هذا الأساس أيضاً يعرف القلقشندي علم الحساب بأنه: «كتابة الأموال من تحصيل وصرف في بنودها المختلفة، كما يشمل أيضاً ما يستلزمه ذلك من عمليات حسابية ورقابة على الخزائن المختلفة»[٦].

ثانياً: دلالات مفهوم المحاسبة في القران الكريم والسنة النبوية المطهرة ان تأصيل المحاسبة في الفكر الاسلامي وبيان مدلولها في ظلال القران الكريم والسنة النبوية المطهرة نجده من النصوص التي تحدثت عن العد والاحصاء كقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾[٧]، والحساب كقوله تعالى: ﴿ لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾[٨] وتسجيل العمليات المالية ودعمها بالمستندات ولعل ما جاء في اطول آية في القران الكريم وهي آية الدين في سورة البقرة كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۖ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۖ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٩] خير دليل على التسجيل والكتابة وعدم ضياع الحقوق بين الناس سواءاً على مستوى الدولة او مستوى الافراد وجاء لفظ المحاسب بمعنى المراقب والحفيظ كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴾[١٠]، وهي تدل على المسائلة والمناقشة ثم الجزاء على تصرفات الاعمال، وهي كلها كلمات مرادفة لكلمة المحاسبة وقد ذكرت المحاسبة وفق مدلولات ومعاني متقاربة في اكثر من ٤٠ موضعاً في القران الكريم.واما في السنة النبوية المطهرة فلا يختلف الامر فمن دراسة الاحاديث النبوية الشريفة يتبين ان مفهوم المحاسبة فيها لا يختلف عن مفهوم المحاسبة الوارد في القران الكريم كما بينا فقد كان رسول الله ﷺ يبعث المحاسبين لعد واحصاء اموال الزكاة من اجل توزيعها وفق انصبتها كما جاء في حديث عائشة

(رضي الله عنها) قالت كان النبي ﷺ: «**يَبْعَثُ عَبْدَ اللَّهِ بن رَوَاحَةَ فَيَخْرُصُ النَّخْلَ حين يَطِيبُ قبل أَنْ يُؤْكَلَ منه ثُمَّ يُخَيِّرُ يَهُودَ يَأْخُذُونَهُ بِذَلِكَ الْخَرْصِ أو يَدْفَعُونَهُ إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ الْخَرْصِ لِكَيْ تُحْصَى الزَّكَاةُ قبل أَنْ تُؤْكَلَ الثِّمَارُ وَتُفَرَّقَ**»[١١].فجباة الزكاة والعاملون عليها يقومون بوظيفة المحاسبة والمراقبة على اموال الزكاة وغير ذلك مما افاضت به كتب السنة النبوية المطهرة.

ثالثا: اهتمام المسلمين بتطوير النظام المحاسبي المالي يمكن القول ان اهتمام المسلمين بالنظم المحاسبية المالية قد بدأ عند تنظيم جباية الاموال من مصادرها المختلفة ومن ثم تصريفها في مصارفها المقررة وذلك في عهد الرسول ﷺ حيث كانت الدولة الاسلامية حديثة النشأة صغيرة المساحة قليلة السكان وتنظيماتها الادارية والمالية تقتصر على الغنائم التي يتم الاستيلاء عليها اثناء المعارك التي كان يخوضها المسلمون ضد المشركين وقد كان النبي ﷺ هو القائم على ادارتها وتقسيمها ولم يكن في عهده ﷺ بيت مال بالمعنى المعروف فيما بعد. وعند بدء عهد الخلافة الراشدة خصوصاً في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وبسبب الفتوحات الاسلامية اتسعت مساحة الدولة الاسلامية وزاد المال فأتسع اهتمام المسلمين بالتنظيمات المالية ومن ضمنها حفظ وصيانة الاموال والتصرف فيها طبقاً لمصارفها واثباتاً لحقوق المسلمين فيها وكان بيت المال يشبه وزارة المالية (الخزانة) في الوقت الحاضر وقد انشئ بيت المال على هيئة دواوين كديوان الخراج لمعرفة ما يرد وديوان العطاء للمقاتلة ، فقد روي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ استعمال الصكوك عند الاخذ من بيت المال وهي ورقة شبيهة بالاوراق التجارية يكتب فيها مثلاً اعطِ صاحب المطبخ ثمانمئة درهم[١٢] وهكذا سارت الدولة الاسلامية في عهد بقية الخلفاء.ففي عهد الخليفة المهدي العباسي تم انشاء ديوان الازمة وولى عليه عمر بن يزيع وهو ديوان يهدف الى الرقابة على جميع دواوين الدولة ومراجعة حسابات الولايات[١٣] اما فيما يتعلق بعملية تنظيم اجراءات قياس الاموال والرقابة على كيفية تحصيلها وصرفها فقد كان يتم من خلال عملية مسك دفاتر خاصة يقيد فيها وفقاً لمبادئ محاسبية اخذين بنظر الاعتبار ما يتفق تطبيقه مع احكام الشريعة الاسلامية وهذا كله من اجل ضبط الاموال التي كانت ترد الى بيت مال المسلمين وقد تم العثور على كتاب مخطوط بعنوان (رسالة فلكية كتاب السياقات) في اسطنبول ومسجل في قسم المخطوطات تحت رقم ٢٧٥٦ وهذا الكتاب قد الفهُ عبد الله بن محمد كاية المازندراني وهو من علماء الدولة العثمانية وموضوعه النظم المحاسبية وهذا الكتاب دليل على ما وصل اليه المسلمون من تطور في مجال المحاسبة المالية قبل الغربين اي كتاب المازندراني سبق ظهوره بحوالي ١٣١ عام على كتاب باسيليو سنة ١٤٩٤م الذي يزعم الباحثون الغربيون بأنه اول كتاب تم تأليفه عن المحاسبة المالية لكنهم لم يطلعوا على كتاب المازندراني ولعدم معرفتهم باللغه العربية لقلة التراجم اضافة الى ان كتاب المازندراني ظل مخطوطاً ولم يتم نشره بصورة تجارية بعكس كتب باسيليو علماً ان المازندراني نفسه استفاد من كتب سبقته

كتبها المسلمون واعتمد عليها في شروحاته وقد ذكر المازندراني في كتابه عن النظم المحاسبية التي كانت سائده في وقته منها محاسبة الاسطبلات ومحاسبة الانشاءات ومحاسبة المستودعات ومحاسبة صك العملة ومحاسبة تربية الاغنام[١٤]..الخ

المبحث الثاني
أدوات الكتابة المستخدمة عند المحاسب

تمهيد:

نستعرض في هذا المبحث الأدوات الأساسية للعمل المحاسبي في النظام المالي الاسلامي والذي تطور في ظل الحضارة الإسلامية وعلى رأسها أدوات الكتابة التي يحتاج إليها المحاسب، ففي مختلف مراحل الحضارة الإسلامية انتشر فن الكتابة في مختلف إدارات الحكم، ومنها كتابة الأموال فمن اهم ادوات الكتابة المستخدمة في النظام المالي:

- **القلم**، فقد شرف الله تعالى القلم وهو من آلات الكتابة، وأقسم به بقوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾[١٥]، كما أضاف الله تعالى التعليم للقلم بقوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤﴾[١٦].كما جاء على لسان علماء الإسلام أنهم قالوا عن القلم: «بيان لسان، وبيان بنان، وفضل بيان البنان أن ما تثبته الأقلام باقٍ إلى الأبد، وما يُنسب إلى اللسان تدرسه الأيام»[١٧].

الدواة، وقد شرفها الله تعالى وذكرها في القرآن الكريم فقال في سورة القلم قال: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾[١٨]، وقد ذكر القرطبي في تفسيره لهذه الآية أن رسول الله ﷺ قال: «**أول ما خلق الله القلم ثم خلق النون**» وهي **الدواة**»، وذلك قوله عز وجل: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ﴾[١٩]،ثم قال له: اكتب قال: وما أكتب، قال: ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة من عملٍ أو أجل أو رزق أو أثر فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة من عملٍ او اجلٍ او رزقٍ او اثرٍ»[٢٠]. و«الدواة هي ام آلات الكتابة» فالآلات التي تشملها الدواة كما ذكر القلقشندي نذكر منها:

- المزبر «وهو القلم».
- المقلمة «وهي المكان الذي يوضع فيه الاقلام».
- المُديَة «وهي السكينة».
- المحبرة «وهي التي يوضع فيها المداد «الحبر».
- المفرشة «وهي التي تفرش تحت الاقلام»
- الممسحة «وهي لمسح القلم عند الفراغ من الكتابة"
- المسطرة «وهي للتحديد».

- المُهرَق «وهو القرطاس الذي يكتب فيه».
- المسن « وهو آلة تتخذ لاحداد السكين» وغيرها[٢١].

ان استخدام هذه الادوات قد وصل الى مستوى متقدم في النظام المالي المحاسبي عند المسلمين الى حد الترف والتفنن به، وهذا واضح ومستبان في التراث الحضاري الاسلامي.

المبحث الثالث
استخدام الأرقام وأدوات القياس والدفاتر والمستندات في الحساب

تمهيد:

من الضروري في بداية هذا المبحث ان نبين الارقام وادواة القياس والدفاتر التي استخدمها المحاسبون في العمل المالي والمحاسبي والتي اسهمت في توضيح ملامح النظام المالي في الحضارة الاسلامية وكالاتي:

اولاً: استخدام الارقام والعَد.قدم العرب المسلمون للبشرية خدمة عظيمة باختراعهم الأرقام العربية وزاد من حيويتها الخوارزمي باستخدام الصفر ففتح آفاقا للعدّ لا نهاية لها، ولا يمكن أن نتصور أية عمليات رياضية أو محاسبية يمكن أن تتم دون استخدام الأرقام العربية، يقول جون ماكليش عن دور الخوارزمي في الحساب بقوله «لقد كانت رسالة الخوارزمي في الحساب اول كتاب في العالم يوضح عمليات الاعداد العشرية»[٢٢]، ان العدد ونظام العد هما الاداة الاساسية للمحاسبة والحساب ومن الجدير بالذكر ان نقول ان علم المواريث الذي انزله الله عز وجل في كتابه العزيز كان احد الاسباب التي أدت بعلماء المسلمين ومفكريهم الى الابداع في نظام العد والمحاسبة لحل مسائل الارث الشائكة والمتشابكة.ولقد بيّن الله سبحانه وتعالى لعباده في كتابه العزيز العدّ والحساب بقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[٢٣]. وأوضح الله تعالى في القرآن الكريم أكثر من نظامٍ للعدّ فقال عز وجل: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾[٢٤] وهو الألف، وقوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[٢٥] وهو الألوف. وكذلك ورد ذكر المليار كوحدة حسابية مالية في عهد الخليفة الرشيد عندما سأل كاتب ديوان الخراج إسماعيل بن صبيح عن مبلغٍ فقال له: ثمانمائة ألف ألف وثلاثة وسبعون ألف ألف درهم، فقال أحب أن تبلغ بنَورا، والبنور (ألف ألف ألف)، كما ورد لفظ المليار في رسائل أخوان الصفا بتعبير البطات، والبطات ألوف ألوف ألوف[٢٦].

ثانياً: ادوات القياس. ومن أدوات الحساب الموزونات والمقيسات والمكيلات والتي يتم فيها معرفة المقدار الكمي والأثمان من دنانير ودراهم والتي فيها يتم معرفة المقدار القيمي، وقد أشار القرآن الكريم لأداة القياس الرئيسية وهي الميزان بقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ ﴾[٢٧].

وهناك أدوات أخرى تقدر فيها الأطوال، **كالذراع:** وبه تقدر الأطوال، قال تعالى: ﴿ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾[٢٨]، وقد خضع هذا المقياس لدراسات عديدة بهدف تحقيق المقياس الأمثل من حيث القصر والطول.ومن أشهرها الذراع العمرية نسبة إلى الذراع التي وضعها كمقياس الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب ﷺ.قال الحكم بن عتيبة: أن عمر ﷺ عمد إلى أطولها ذراعا وأقصرها فجمع منها ثلاثة وأخذ الثلث منها، وزاد عليها قبضة وإبهاما قائمة ثم ختم في طرفيه بالرصاص، والذراع المأمونية نسبة إلى الخليفة العباسي المأمون (رحمه الله)[٢٩]، ومن المقاييس الأخرى[٣٠]:

القصبة: وهي ستة أذرع.

الجريب: وهو عشر قصبات في عشر قصبات « ٣٦٠٠ ذراع».

القفيز: وهو عشر قصبات في قصبة « ٣٦٠ ذراعاً وهو عشر الجريب».

العشير: وهو قصبة في قصبة «٣٦ ذراعاً وهو عشر القفيز».

الوسق: ٦٠ صاعاً، أو ٦٠ قفيزاً.

ثالثاً: الدفاتر والمستندات. وأما المستندات والدفاتر والوثائق التي يستخدمها التجار والمحاسبون في أعمالهم هي بمثابة الإثبات للحقوق، وقد تناولت أطول آية في القرآن الكريم أصول توثيق الحقوق، بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۖ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٣١]، ومن خلال الدراسة والبحث لواقع النظام المالي المحاسبي للمسلمين ابان الحضارة الاسلامية والدولة نجد ان وجود المستندات تمثل نقطة البوابة في عمل النظام المحاسبي المالي من حيث انها تمثل دليلاً ثبوتياً لما يمكن ان يحدث بين طرفين وخاصة بما يتعلق بالاموال فقوله تعالى في الاية السالفة الذكر وهي اية الدين تأكيدٌ على ضرورة توثيق الحقوق ومنها الحقوق المالية عن طريق الكتابة التحريرية كي لا

يكون هناك اي شك فيها.وقد عرفت المستندات من خلال نوعين هما: **المستند الداخلي** الذي يتم تحريره من قبل كاتب الحسابات بما يتعلق بالايرادات التي يتم تحصيلها من الاخرين وتتضمن تاريخ الاصدار والمبلغ ومكان الاصدار وهو على عدة صور يحتفظ كاتب الحسابات بالاصل الذي يسمى الشاهد وهو سندُ قيدٍ يصادق عليه رئيس الديوان اما **المستند الخارجي** فيتم تحريره من قبل الخازن وهو يمثل وصل السداد الذي يحصل عليه مَنْ يُسدد الخراج او يدفع الصدقة او الجزية وغير ذلك[٣٢]، وقد اثبت العصر الحديث فائدة كتابة العقود المالية حتى يعلم طرفا العقد او ورثتهما الحقوق والواجبات التي عليهما لان مرور الزمن يسبب النسيان وهذا مما افاضت به الحضارة الاسلامية لواقع الحياة ، واما الدفاتر المحاسبية فقد عرفت صورتها الاولى في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بسبب زيادة الاموال الواردة الى بيت المال وهي عبارة عن اوراق سائبة غير مجلدة وتطورت في العهدين الاموي والعباسي وكانت اكثر تنظيما حيث تم تجليد الدفاتر والسجلات وسمي دفتر القيد بـ(الجريدة) وذلك قبل ظهور كتاب باسيليو في عام ١٤٩٤م فقد اعتمد باسيليو المصطلح العربي (الجريدة) واطلقه على الدفاتر المحاسبية في ايطاليا[٣٣]. وقد أشار النويري إلى ثبوتيات كانت تستخدم كمستندات منها الإيصالات كأداة الاستلام والتسليم التي يصدرها المحاسبون ووصولات مباشريها، وتكتسب هذه الثبوتيات شرعيتها من التواقيع السلطانية.مثل **التأريج:** وهي الأوراق التي يبسطها مباشر المساحة بما فيها السجلات ويختمها بما انتهت إليه المساحة، **والفنداق:** وهو الذي تكتب فيه المساحات حال قياسها، **والمكّلفة:** وهي جريدة يُشرح فيها اسم كل فلاح وما يسجله من الفدن[٣٤].**أما دفتر اليومية:** وهي أصل المحاسبة وأساسها الأول وعليها تبنى التسجيلات والأحداث الاقتصادية المالية منها وغير المالية، ويتوخى المحاسب الدقة فيذكر كل شيء فيها صغر أم كبر، وبذلك يقول النويري: يُذكر فيه تاريخ اليوم والشهر من السنة الهلالية ويُذكر فيه جميع ما يتجدد ويقع في ذلك اليوم في ديوانه من مُحضر ومُستخرج ومُجرى ومُبتاع ومُباع ومبيع ومصروف وما يتجدد من زيادات في الأجر والضمانات وترتيب أرباب الاستحقاقات[٣٥].

المبحث الرابع
صفات المحاسب في الإسلام

المحاسب هو الوزان بالقسط قال تعالى: ﴿ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾[٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴾[٣٧]؛ لأنه يزن الأعمال ويقيسها في نهاية الفترة المالية، لذا ينبغي على هذا الوزان إن كان تاجراً أو محاسباً أو مراجعاً، أن يكيل ويكتال بالحق. **ونرى أن المحاسب المسلم يجب أن يتحلى بالصفات الآتية:**

١. **الأمانة:** فقد خص الله تعالى صفة القوة والأمانة بمن أُستؤجر للعمل، لقوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾[٣٨]، فالضعيف لن يقدر على تحقيق الأمانة رغم اتصافه بها ما لم يكن قويا قادراً على تحقيقها، فالمحاسب لا يرشي ولا يرتشي ولا يكذب ولا يخون ولا يغش، قال تعالى: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[٣٩].

٢. **الدقة:** بيّن الله عز وجل الدقة في الحساب بهدف تحقيق العدالة بقوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[٤٠]، وقد راعى النويري في محاسبة الرواتب والأجور فرق أيام السنة الميلادية عن السنة الهجرية[٤١]، واشترط الماوردي لتحقيق الدقة الإلمام في الحساب[٤٢].

الكفاءة والمقدرة: يجب أن يتصف المحاسب بالفطانة والذكاء والكفاءة، وهي حسب ما ذكر الماوردي تستوجب: حفظ القوانين، واستيفاء الحقوق، وإثبات الرقوع، ومحاسبات العمال، وإخراج الأموال، وتصفح الظلامات[٤٣]. ويجدر بنا الإشارة إلى أن هناك مصطلحات استخدمت في حضارتنا الإسلامية في العمل المحاسبي المالي لها في وقتنا الحاضر ما يرادفها ويقابلها مثل:

- **صاحب بيت المال** في وقتنا الحاضر «**وزير المالية**».
- **الناظر** في وقتنا الحاضر «**مدير الحسابات**».
- **الشاهد** «وهو الشخص الذي يقوم بتدقيق ومراجعة أعمال الديوان يقابله في الوقت الحاضر».
- **المستوفي** «وهو الشخص الذي يقوم بفحص الحسابات وتحقيقها يقابله اليوم «**ديوان الرقابة**
- **العامل** «وهو الشخص الذي يقوم بكتابة الحسابات وتنظيمها يقابله في الوقت الحاضر» «**المحاسب**»
- **الصيرفي** الذي يقوم باستلام الأموال أو صرفها وفق التعليمات الصادرة إليه يقابله في الوقت الحاضر (**أمين الصندوق**).
- **الخارص** هو الشخص الذي يقوم بتقدير المال بين طرفين يقابله اليوم «**المخمن**».

بعد هذا العرض الموجز عن العمل المحاسبي المالي في حضارتنا الإسلامية وهو غيض من فيض نستطيع القول أن الحضارة الإسلامية كانت تتمتع بنظم حسابية محكمة ودقيقة، حفظت أموال الدولة الإسلامية عبر تاريخها المجيد دون هدر للأموال وضياع للحقوق، ويمكن القول بأنها تمثل الأصول لما متعارف عليه في وقتنا الحاضر، والله تعالى أعلم بالصواب.

الخاتمة والتوصيات

١. ان الحضارة الاسلامية اسهمت بشكل فعال في رفد الوسط الحسابي للمسلمين لكي يكون وسطاً عادلاً ودقيقاً وصادقاً لانه يجري في معاملات الناس واموالهم وممتلكاتهم وميزانية الدولة ومصارفها وايراداتها.

٢. سلامة المعاملات التي تجري بين الناس من الفساد المالي كالربا والتطفيف والاحتكار واكل اموال الناس بالباطل والغش والخداع والظلم بكافة انواعه والبيوع الفاسدة.

٣. الحفاظ على اموال الدولة واموال الناس كالوقف واموال الزكاة وايرادات بيت المال (الخزينة)

٤. تطوير الفكر المالي والمحاسبي ونشره بما ينسجم مع مبادئ الشريعة الاسلامية والسياسات المالية والاخذ بصفات المحاسب والمسؤول المالي المأمون على الاموال وذو الكفاءة العالية والحرص الشديد للمحافظة على الاموال.

٥. تشجيع الاستثمارات واطمئنان اصحاب الاموال بأن اموالهم تستثمر وفق مبادئ الشريعة الاسلامية وزرع الثقة في المستثمرين وخصوصاً في المصارف الاسلامية اليوم والمنشئات المالية

٦. تثقيف المجتمع بأن الاسلام جاء لمصلحة الناس والحفاظ على اموالهم وذلك بكتابة الاموال والعقود والديون والحسابات والمصروفات والايردات صغيرها وكبيرها لان النسيان افة العلم والمعرفة وحتى لا تضيع الحقوق وهذا ما اكدته اية الدين في القران الكريم.

ويوصي الباحث: الاخوة الباحثين في مجالات السياسة النقدية والمالية والمحاسبية والاقتصاد الاسلامي ان يبرزوا جميع الجوانب الخاصة بالمعرفة المالية والمحاسبية التي اسهمت بها الحضارة الاسلامية وانه ليس هناك ثمة اجراء اقتصادي اومالي الا وله من تراثنا الاسلامي تأصيل. والله من وراء القصد.. والحمد لله اولاً واخراً.

الهوامش

(١) الاقتصاد الإسلامي بين منهجية البحث وإمكانية التطبيق،ص ١٣.

(٢) سورة يونس: الآية (٥).

(٣) جمهرة اللغة، ، ج١، ص٢٧٧.

(٤) التأصيل العلمي للنظام المحاسبي في الدولة الإسلامي ص٢.

(٥) النظام المالي الإسلامي، ج ٢ / ص

(٦) صبح الأعشى في صناعة الإنشاد،ج ١/ ص ٥٣.

(٧) سورة مريم٩٤.

(٨) الإسراء١٢.

(٩) البقرة٢٨٢.

(١٠)النساء٨٦.

(١١) سنن أبي داود، ج٢، ص١١٠.

(١٢)تاريخ عمر بين الخطاب ص١٣٣

(١٣) التنظيم المحاسبي للاموال العامة في الدولة الاسلامية، ، ص٦٢.

(١٤) المحاسبة المالية في المجتمع الاسلامي، عمر عبد الله زيد، ط١، ج١٩٥، ص٤٦ وما بعدها.

(١٥) سورة القلم: الآية (١).

(١٦) سورة العلق: الآيتان (٣ – ٤).

(١٧) صبح الأعشى في صناعة الإنشاد، القلقشندي، مرجع سابق: ج١/ ص٣٦٣.

(١٨) سورة القلم: الآية (١).

(١٩) سورة القلم: الآية (١).

(٢٠)الجامع لأحكام القرآن، ج ١٨/ ص ٢٢٣.

(٢١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاد، القلقشندي، مرجع سابق: ج ٢/ ص ٤٥٧.

(٢٢) العدد من الحضارات القديمة حتى عصر الكومبيوتر العدد ٢٥١ ، الويت، ص١٥.

(٢٣)سورة يونس: الآية (٥).

(٢٤) سورة الحج: الآية (٤٧).

(٢٥)سورة المعارج: الآية (٤).

(٢٦) رسائل إخوان الصفا، خير الدين زركلي، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٢٨م: ج ١/ ص٣٠.

(٢٧) سورة الرحمن: الآيات (٧ – ٩).

(٢٨) سورة الحاقة: الآية (٣٢).

(٢٩)الأحكام السلطانية، ص ١٨٠.

(٣٠) المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري،ص ٥ وما بعدها.

(٣١) سورة البقرة: الآية (٢٨٢).

(٣٢) ينظر: التنضيم المحاسبي للاموال العامة في الدولة الاسلامية، ص١٤٥

(٣٣)مقال بعنوان التأصيل العلمي للنظام المحاسبي في الدولة الاسلامية، د.زياد هاشم يحيى.

(٣٤)نهاية الارب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد النويري، وزارة الثقافة المصرية: ص ٢١٨

(٣٥)المصدر نفسه: ص ٢٧١ وما بعدها.

(٣٦) سورة الإسراء: الآية (٣٥).

(٣٧) سورة الشعراء: الآية (١٨١).

(٣٨) سورة القصص: الآية (٢٦).

(٣٩)سورة يوسف: الاية (٥٥).

(٤٠) سورة الأنبياء: الآية (٤٧).

(٤١) نهاية الارب في فنون الأدب، النويري، مرجع سابق: ص٢٧٢.

(٤٢)الأحكام السلطانية، الماوردي، مرجع سابق: ص١٤٤.

(٤٣) المصدر نفسه: ص ١٤٤ وما بعدها.